Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

خاتمة الباب

آفاق المشروع التأويلي

لعل ما تقدم يثبت أن المشروع الفكري والسياسي لابن رشد والمكلاتي والشاطبي حدد ممارستهم التأويلية، لأن المشروع الفكري والسياسي هو الذي حدد ويحدد ممارسة المؤولين القدماء والمعاصرين، فلا مؤول راجح العقل يخبط خبط عشواء، وإنما يستنير وَيُوَجَّهُ ـ ولا بد ـ بالمشروع الفكري والسياسي الذي يعيش فيه أو يعتقده.

إذا ما اتفقنا على هذه «الموضوعة» فلنتذكر بعض القضايا التي تناولها ابن رشد والمكلاتي والشاطبي لِنُناظِرَ بينها وبين ما يثارُ الآن من قضايا في مجال التأويل؛ من بين تلك القضايا مسألة الفروع والأصول. وقد انبنى على هذه المسألة الجوهرية تصنيف لمستويات النصوص، ولمستويات تأويلها ولمستويات المؤول لهم. ذلك أنه مهما كانت أجناس النصوص وأنواعها وأصنافها فقد ترجع إلى القسمة الثنائية المعروفة من كون الكلام ينقسم إلى حقيقة ومجاز، فإذا كان الكلام حقيقة صرفاً خالصةً فإنه لا يجوز تأويله، وأما إذا كان الكلام مجازاً فإنه يجب تأويله حتى تتلاءم دلالة تعابيره مع المعقولية، ولكن للتأويل مستويات، فهناك مستوى لا يقوم به إلا الرَّاسخون في العلم، وهناك مستوى لا ينجزه إلا خواص العلماء. وأما من ليس من هؤلاء فلا يسوغ له أن يؤول، وهناك مستويات الموجّه إليهم التأويل؛ فالتأويل البرهاني لا يطلع عليه إلا الراسخون في العلم وخواص العلماء، والتأويل الجدلي لأصحاب الجدل، والخطابي موجه إلى الجمهور، وفي هذه الخطة التعليمية التربوية حكمة مستخلصة من القول المأثور: «**خاطبوا الناس على قدر عقولهم**»، وهذه الخطة هي التي تحد من الفوضى والشغب والفرقة بين الناس.

ومن بين تلك القضايا التي أتى بها مشروع ابن رشد والمكلاتي والشاطبي